عدد خاص
بمناسبة مرور أربعين سنة على تأسيس الكلية

مجلة

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

الرباط

جامعة محمد الخامس

عدد مزدوج
22 - 21

مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط

جامعة محمد الخامس

عدد مزدوج 22 - 21 (1997-1996)

مطبعة النجاح الجديدة
الدار البيضاء

رقم الإيداع بالخزانة العامة 1977/1
الرقم الدولي الموحد : 1160 — 0851

ولوج المذهب الاعتزالي من بابه الأصيل. فكل تغيير في تصنيف الأحوال يحمل عواقب قد تسيء إلى الفكر الاعتزالي أكثر مما تخدمه. والاختلافات في التصنيف هي في واقع الأمر اختلافات في التأويل الوجودي والميتافيزيقي. لذلك عمل شيوخ الأشاعرة على هدم نظرية الأحوال بإعادة تصنيفها بشكل يجعلها عرضة للنقد وللتهافت. وعمل الباحث المعاصر في نظرنا هو إعادة الاعتبار إلى هذه النظرية التي تعد من أهم النظريات الكلامية. ودراسة تصنيف الأحوال مدخل أساسي لولوج هذه النظرية في عمقها.

النزوح القروي وعواقبه على البيئة : جماعة «لبصارة» بالسفح الجنوبي لجبال بني يزناسن إقليم وجدة

«دوار اولاد البالي نموذجا»

موسى كرزازي
كلية الآداب ــ الرباط

موضوع هذا المقال مرتبط باشكالية مصير القروي العالم في إطار التحولات التي عرفتها الأرياف المغربية وخاصة الدينامية المميزة لها بعد فترة الاستقلال وأهمها الحركة المجالية المكثفة للساكنة. إن الهجرة الريفية نحو المدن أدت في عدة حالات إلى افراغ دواوير وقرى بأكملها، فهل يعتبر هذا التطور إيجابيا أم سلبيا بالنسبة لأماكن الانطلاق والوصول وهل من سبل لتنمية الريف المغربي ؟

ويمكن إدراج هذا الموضوع ضمن النقاشات التي دارت بين المفكرين والباحثين حول نظريات تهتم بالانسان في علاقته بموارد عيشه، فمنهم المتشائمين باعتبار أن الزيادة البشرية تقلص من الموارد ومنهم المتفائلين الذين يرون عكس ذلك باعتبار أن الانسان هو صانع الخيرات. إن الدراسة الحالية الميدانية تثبت نسبية تطبيق هذه النظريات نظرا لتعقد الواقع الذي يعيش فيه الانسان وتباين الظروف المحيطة به. وتعتبر أرياف المغرب الشرقي نموذجا لظاهرة النزوح القروي، بحيث أن عدة دواوير وقرى قد افرغت من سكانها ومنها دواوير جماعة لبصارة بالسفح الجنوبي لبني يزناسن.

وعبر هذه الدراسة سنحاول الإجابة عن سؤال مؤداه : هل كانت الهجرة إيجابية أم سلبية بالنسبة للدواوير المهجورة من جهة ؟ وبالنسبة لمستوى معيشة

الوافدين على مدينة وجدة من جهة ثانية ؟ وماهي الآفاق في ضوء التطورات في الماضي القريب المطبوعة بالجفاف في مناطق أكثر هشاشة كالنجود العليا ؟ مع العلم أن مختلف جهات المغرب الأخرى تلقت تساقطات مطرية وثلجية غزيرة في مطلع سنة 1996.

لبصارة وهي جماعة قروية حديثة النشأة (سنة 1992) تتكون من أربعة دواوير هي : اولاد البالي وأولاد بوتشيش، وأولاد عيسى وأولاد بوفرة. وحسب الإحصاء الجديد 1994 بلغ عدد سكانها 2311 ن. وعدد الأسر 350. وهي تابعة لدائرة احواز وجدة، عمالة وجدة ــ انكَاد (مديرية الإحصاء، 1995، الرباط. ص. 192). أما قبل التقسيم الإداري لسنة 1992 كانت لبصارة جزءا من جماعة عين الصفاء، كفخضة تابعة لدائرة احواز وجدة تضم خمسة دواوير وتحتوي (وفق احصاء 1982) على 11.133 نسمة و 1509 اسرة. وتعتبر جماعة عين الصفاء من الجماعات التي عرفت تراجعا ديموغرافيا خلال الإحصاءات التي اجريت بالمغرب من 14.498 ن سنة 1960 إلى 13.500 ن سنة 1971 إلى 11.133 ن وفق احصاء 1982. وهكذا فقد سجل معدل النمو الديموغرافي العام (0,64 % –) بين احصاءي 60 ــ 71 و (1,73 % –) بين احصاءي 71 ــ 82 (Direction de la Statistique, 1955, p. 71).

ويعتبر دوار أولاد البالي احد الدواوير الرئيسية الواقعة في السفح الجنوبي لجبال بني يزناسن التابعة للجماعة القروية «لبصارة»، بل هو مركز القرية فيما مضى. ولكن حدثت تطورات ادت إلى تفرع دوار ملحق في السهل عن الدوار الأصلي في الجبل ؛ سكنه متفرق، وهو الرستاق المكمل لاقتصاد الجبل، ويعتمد على الري العصري بالضخ. ويبلغ متوسط التساقطات السنوية بسيدي بوهرية 321 ملم، كما أن المناخ متوسطي. وإلى سهل انكَاد انتقل مركز الثقل البشري والاقتصادي.

وكان دوار اولاد البالي في سنة 1982 يحتل المرتبة الثانية من حيث اهمية السكان (963 ن) والأسر (122 اسرة). إلا أن الدوار الأصلي في الجزء الجبلي، عرف تناقصا للسكان بل افراغا بحيث لم تتجاوز تقديرات عدد ساكنته في أبريل سنة 1994 الخمسين نسمة، وعدد الأسر حوالي عشرة فقط. وهو ما يعني انه لم يعد حاليا يمثل سوى 5,6 % من ساكنته سنة 1982 و 8 % فقط من عدد

اسره. وهذا ما سنعالجه في هذه المداخلة مركزين في دراستنا على حالة دوار «اولاد البالي» الواقع في قلب جماعة لبصارة بجبال بني يزناسن بالسفح الجنوبي.

فخذة لبصارة : سكان الدواوير حسب الإحصاءات السكانية

اسم الدوار	1960		1971		1982		1994	
	الأسر	السكان (نسمة)	الاسر	السكان (نسمة)	الاسر	السكان (نسمة)	الاسر(*)	السكان (نسمة)
اولاد البالي	**127**	**740**	**125**	**955**	**122**	**963**	—	—
اولاد بوفرة	164	1023	155	1224	131	1088	—	—
اولاد بوتشيش	107	641	92	732	113	763	—	—
اولاد الحاج	56	341	48	370	19	203	—	—
اولاد عيسى	66	355	44	334	8	75	—	—
المجموع	**520**	**3100**	**464**	**3615**	**393**	**3092**	**350**	**2311**

(*) لم نتمكن من الحصول على حجم الدواوير حسب احصاء 1994 لأنها لم تنشر بعد.

المصادر :

- RGPH de 1994, Population légale du Maroc, Direction de la Statistique, 1996.
- RGPH 1982, Région de l'Oriental. Direction de la Statistique.
- Service Central des Statistiques, RGPH 1971, province d'Oujda, Cercle de Béni Snassen, Commune d'Aïn Es-Sfa, (Bureau des Statistiques).
- Population rurale, RGPH 1971, Région de l'Oriental. Direction de la Statistique.
- Recensement démographique dela population de 1960.

ــ كانت دواوير «لبصارة» إلى عهد قريب جدا يمكن تحديده بفترة بداية الخمسينات من بين أهم التجمعات البشرية الريفية، في السفح الأوسط الجنوبي لجبال بني يزناسن المطل على سهل انكَاد (شكل 1). ومن مظاهر التعمير والازدهار انذاك يمكن الاشارة فقط إلى حيوية معمل الدوم والحلفا الذي كان يُشغل عشرات العمال والعاملات بصفة مباشرة، ومئات السكان في مختلف الدواوير لنقل مادة الخام إلى مكان التحويل[1].

(1) يمكن تقدير من كان يشتغل داخل المعمل المذكور بحوالي 200 عامل وعاملة، وهو رقم تقريبي لأننا لا نتوفر على وثائق مكتوبة في هذا الشأن. كما يصعب ضبط عدد السكان الذين كانوا يعملون بطريق غير مباشر من مختلف الدواوير في نقل المواد الخام على البهائم وأساسا قطع ونقل الدوم.

موقع المنطقة المدروسة
[جماعة لبصارة]

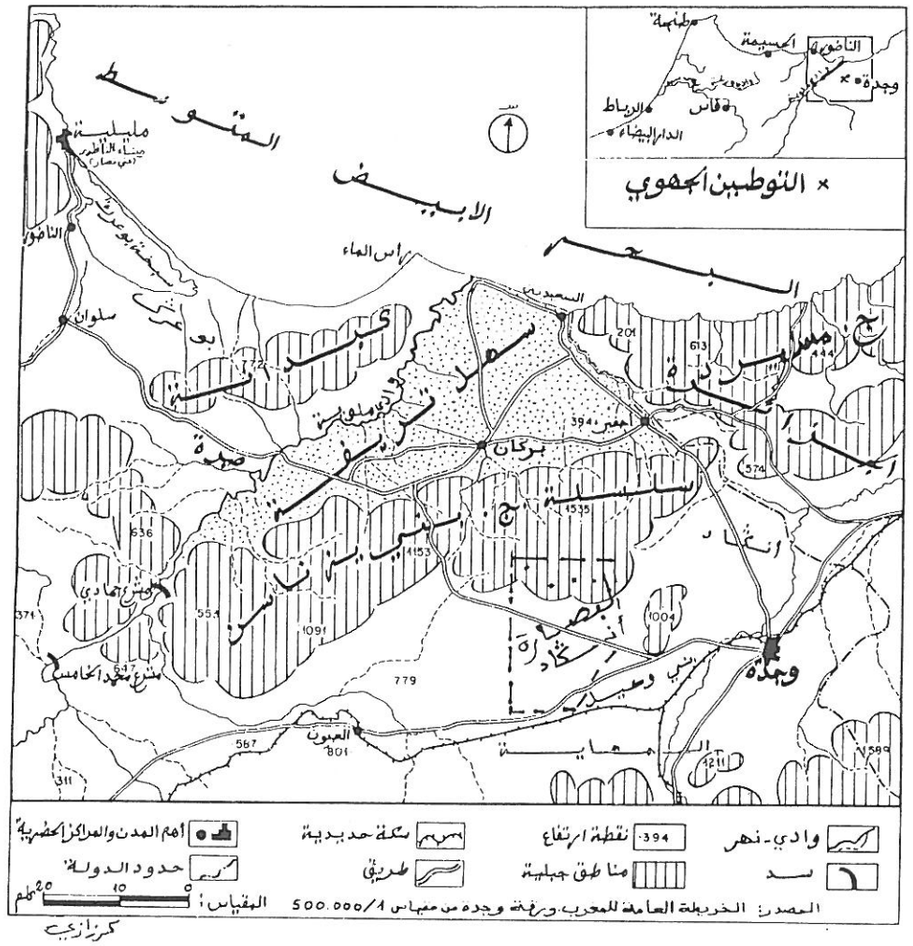

شكل 1

المصدر : الخريطة العامة للمغرب. ورقة وجدة من مقياس 500.000/1 المقياس :

لكن هذه الدواوير تعيش في الوقت الحاضر (سنة 1996) سكونا ينبىء بافولها التدريجي إذا استمرت الأمور على ما هي عليه. ولاشك أن «الخراب» الذي لحق بها يرجع أساسا إلى النزوح القروي الذي زادت وتيرته حدة مباشرة بعد استقلال البلاد، وكذا إلى التحولات التي عرفتها البادية المغربية. فمن السكان من هاجر إلى الخارج، إلى فرنسا خاصة، ومنهم من رحل إلى السهل المجاور وخاصة سهل انكَاد لكن معظمهم فضَّل شدَّ الرحال إلى مدينة وجدة.

وسنحاول في هذه المداخلة المعتمدة على دراسة ميدانية، ان نسلط الأضواء في **نقطة أولى** على وضعية القرية قبل أن تتعرض إلى الهجرة المكثفة.

وفي **نقطة ثانية** سنعالج الآليات التي تحكمت في التطور اللاحق.

وفي **نقطة ثالثة** سنتطرق إلى بعض الآثار المترتبة عن هذه الحركة السكانية الافقية.

1. وضعية القرية قبل أن تتعرض إلى الهجرة المكثفة

فيما مضى استطاعت قرية لبصارة ــ التي لا تفصلها عن مدينة وجدة سوى مسافة 36 كلم ــ ان تربط اتصالات متعددة، ويمتد اشعاعها إلى نواحي تازة، وتربطها بوجدة وبركان والنواحي والأسواق وسائل الاتصال، والمواصلات العمومية المنتظمة.

وأهم عنصر اقتصادي كانت تعتمد عليه ساكنة القرية هو معمل في ملك احد المعمرين الأوروبيين، يستعمل الحلفا والدوم كمواد خام محلية لصنع الحبال. وكان يشغل عشرات العمال والعاملات سواء داخل المعمل لتحريك الالات، أو خارجه لجلب الدوم والحلفا من جبال بني يزناسن والسهوب المجاورة.

وكانت الفلاحة ــ بما فيها تربية الماشية ــ مزدهرة، مع تعرضها في فترات القحط الى التقلص والهلاك. وبارتباط مع زراعة الحبوب، كانت ظاهرة «الحصاديين» تخلق دينامية اقتصادية محلية ملفتة للنظر في موسم الحصاد، حيث يباع لهم يوميا في القرية المذكورة، الخبز المصنوع انذاك في مخابز وجدة، وسلع اخرى. وكان الحصادون ياتون من جهات نائية كنواحي تازة ومقدمة الريف. ومما سهل استقطابهم، توفر وسائل النقل ؛ فبالاضافة إلى سيارة الاجرة المجندة للنقل

العمومي يوميا كانت تستخدم أيضا حافلة للنقل العمومي تتسع لأزيد من 50 مسافرا، تربط بين القرية ووجدة.

أما النباتات الشوكية (الهندية) فكانت تغطي مساحة كبيرة تدعى (اقوير) تحيط بالمنازل (لحواش جمع حوش) كسياج وكمورد للتغذية، وقسط من منتوجها يسوق في وجدة. ومن البساتين والمغروسات التي كانت تعطي ثمارا ذات جودة عالية في قدم الجبل ببني يزناسن وعلى بعض سفوحه، اشجار التين والزيتون واللوز. وتستعمل المياه المنسابة من العين «الصهريج» في سقي احواض النعناع والخضر وبعض الأشجار.

ومن التقاليد الاقتصادية المعروفة في القرية على غرار البوادي المغربية الأخرى، الادخار والخزن لمواجهة الأخطار المحتملة كالقحط وندرة المواد في السنوات العجاف. ويمكن الاشارة في هذا الصدد إلى خزن الحبوب في حفر تدعى «مطامير جمع مطمورة» في مكان يدعى «المرس». إضافة إلى تجفيف ثمار كالتين واللوز، وتعليب الزيتون أو عصره، وحفظ السمن في جرار (جمع جرة) أو خوابي (جمع خابية) لعدة سنين. وهذا ما يمكن أن نطلق عليه بمفهوم العصر «الامن الغذائي». وفعلا كان يستعمل هذا المخزون في وقت الشدة.

إن القرية كانت تحتوي على طاحونة للحبوب، ومصلح للدراجات ولكرائها أيضا، واسكافي، وجزار ومقتلع للأسنان. وتتوفر أيضا على وكالة بريدية، ومدرسة بملحقاتها من مطبخ لتهييء الوجبات الغذائية للتلاميذ، وسكن لائق لإيواء المعلمين، إضافة إلى مسجد وكتاب تخرج منه مآت الطلبة حفظة القرآن الكريم والعلوم الدينية خاصة على يد أحد علماء الزاوية الكرزازية سيدي علي. ونظرا لدينامية اقتصاد القرية كانت التجارة رائجة من خلال سبع حوانيت، إضافة إلى ما يروج داخل الأسواق الاسبوعية المجاورة لها كسوق «عين الصفاء» و «النعيمة».

ونظرا للزيادة الديموغرافية المرتفعة وما نتج عنها من ضغط متزايد على الأرض في فترة الخمسينات والستينات، كانت تنشب باستمرار نزاعات وصراعات بين السكان حول الحدود الفاصلة بين مشارات ملكياتهم، وتوزيع الماء، والاستفادة من المراعي، وجني ثمار «الهندية».

2. العوامل والآليات التي تحكمت في التطور اللاحق

وقعت عدة تطورات في القرية نجم عنها نزوح قروي نحو جهات أخرى. ويمكن حصر العوامل المحددة للهجرة في ثلاثة أسباب : انعدام الشغل أو قلته بالقرية ؛ متابعة الدراسة في المدينة، وجاذبية الهجرة نحو الخارج لتحسين مستوى المعيشة. ولابد من الإشارة إلى أن الجفاف في الفترة الممتدة بين 1975 و 1995 قوي بشكل مثير تيار النزوح القروي. ومن بين الآليات المتحكمة في المسار الذي اتجهت فيه، يمكن الإشارة إلى اختفاء بعض الأنشطة الاقتصادية وتحول في البادية المغربية بعد الاستقلال.

إحراق معمل الدوم والحلفا ضربة قاضية لدينامية القرية :

إن أحد العوامل التي ساهمت في افراغ القرية من ساكنتها، هو احراق أهم منشأة صناعية بها في مطلع الاستقلال باعتباره ملكا لأحد المعمرين. ووضع بذلك حد لمداخيل عشرات الأسر في القرية والدواوير المجاورة لها، واخمد أهم قطب للتنمية المحلية الذي كانت تعتمد عليه البصارة.

ومنذ ذلك الحين نشطت الهجرة، وشد الرحال عدد من الشباب إلى الخارج وأساسا إلى فرنسا، وعدد من الأسر هاجرت إلى مدينة وجدة ثم إلى مدن اخرى كفاس والدار البيضاء ؛ كما رحل إلى انكَاد قسم من الساكنة المالكة للأراضي بالسهل ــ في قدم الجبل ــ والمستعدة للعمل الفلاحي.

وتوسعت المكننة في السهل وعوضت الحصادين ؛ كما ارتفعت نسبيا اجرة اليد العاملة الفلاحية. وتحول التعمير والنشاط الاقتصادي من القرية على سفح الجبل إلى السهل الذي أصبح يمثل مركز الثقل. وافرغت الدواوير من معظم ساكنتها وفي مقدمتها دوار اولاد البالي حيث المسجد الرئيسي والزاوية، والمدرسة والطاحونة، والضريح، والعين (الصهريج) والبئر.

ولابد من التذكير أيضا بأن الهجرة الدولية لعبت أيضا دورا أساسيا في إفراغ القرية :

أولا : بطريق مباشر عندما كانت وجهة الهجرة نحو الجزائر ثم فرنسا ــ أساسا ــ قبل إغلاق الباب الاوروبية، ثم إلى اسبانيا والدول الاسكندنافية.

ثانيا : بطريق غير مباشر حيث لعبت هذه الحركة السكانية الدولية دورا مهما في الهجرة الداخلية عندما يشتري المهاجرون المقيمون في الخارج المنازل بأحياء وجدة، ويرحلون أسرهم إليها. ورغم صعوبات الهجرة فإن المحاولات متكررة في الظرف الراهن لبلوغ اوروبا، حتى ولو ادى ذلك إلى المجازفة بالحياة في مضيق جبل طارق.

أسباب اخرى ساهمت في إفراغ القرية :

لاشك أن تدهور التجهيزات وضعف الخدمات ساهم في رحيل عدد من السكان من دواويرهم، كاختفاء الهاتف، ووسائل المواصلات العمومية والمرافق الصحية والتعليمية. يضاف إلى هذا، الضغوطات السياسية وروح الانتقام بعد الانتخابات القروية والتشريعية، إذ يشعر المنهزم بـ «القهر» ويفضل الرحيل إلى المدينة، ذلك ان الديموقراطية بهذه الأوساط لاتزال هشة. وحسب تصريحات أحدهم، فإن ممثلي السكان في الجماعة يشعرون بانهم يمثلون السلطة وليس من صوتوا عليهم ؛ إضافة إلى المحسوبية في المعاملة منها مثلا عملية توزيع العلف والنخالة.

والملاحظ أن الهجرة قد اتخذت طابعا موسميا في مرحلة أولى، بحيث أن المهاجر يشتغل في الداخل أو الخارج لمدة محدودة (شهرين أو ثلاث)، وسرعان ما يفكر في الرحيل النهائي خصوصا بعد أن يتوفر على عمل وسكن بالمدينة أو في ضاحيتها. وفي هذا الصدد يمكن الاشارة إلى حي «بن حوان» وهو أحد الأحياء في ضاحية وجدة، يقصده النازحون القرويون للاستقرار به، نظرا لقربه من المدينة وسهولة الحصول فيه على سكن بثمن مناسب.

وكثيرا ما دفعت المرأة زوجها للرحيل إلى وجدة، وخصوصا إذا كان لهما فتيات ترغب في تعليمهن الخياطة والطرز وصنع الحلويات ؛ أو لمتابعة الدراسة بالنسبة للأبناء الذكور. وفي حالات متكررة يتبع المهاجر مسلسلا متشابها، يبدأ بكراء منزل لابنائه التلاميذ في وجدة، فترتفع المصاريف العائلية ويضطر الوالدان الالتحاق بأبنائهم في مرحلة ثانية. ورغم أن الدولة قد وفرت اعدادية بالسهل في «سيدي بوهرية» فهي بعيدة عن القرية بـ 12 كلم تقريبا.

وأحيانا يوظف الابن، فيهجر اسرته لاحقا. ولاشك أن عامل قلة الأرض مع توسع العائلة يؤدي عادة إلى رحيل أحد أو مجموعة من أفرادها في اتجاه المدينة.

3. بعض الآثار المترتبة عن هذه الحركة السكانية الافقية 2

نجمت عن الهجرة الريفية المغادرة عدة نتائج، سواء على مستوى المجال المهجور، أو على مستوى اندماج المغادرين له، الوافدين على مدينة وجدة.

إن النزيف المستمر للهجرة أدى إلى :

أ ــ فقدان العناصر الدينامية وخاصة منها فئات الشباب القادرة على العمل بقرية لبصارة

ب ــ تراجع الأنشطة الاقتصادية : تمثل ذلك في تراجع النشاط الفلاحي والرعوي ومعه تقلص المجال الفلاحي بعد تعرضه للتصحر. فنتيجة إهمال البساتين ونزوح الفلاحين والأسر المالكة لها، والقحط الذي عم المغرب الشرقي، تعرضت هي الأخرى للتدهور في مرحلة أولى، واليبس والاقتلاع في مرحلة ثانية، لتستخدم حطبا وتغدو رمادا في نهاية المطاف.

وأمام تلاشي تقاليد الادخار، وغياب صيانة المنشآت الاقتصادية والعمرانية التي كانت تحتوي عليها القرية، اندثرت هذه الأخيرة في غالبيتها العظمى أو أصبحت أطلالا. وغدا السكان يعتمدون في تموينهم بالخضر ومواد أخرى على الجهات المجاورة لهم كسهل انكَاد «لغراسة» وسوق «عين الصفاء» (7 كلم) وسوق «النعيمة» (حوالي 14 كلم) ووجدة.

وكنتيجة مباشرة للنزوح القروي والتحولات التي عرفتها القرية وقع **اختفاء انشطة أخرى ومنها الصناعة التقليدية وبعض الحرف**. لقد اختفت حرف الصانع التقليدي والاسكافي، والجزار ومقتلع الاسنان، والحلاق ؛ وتقلصت التجارة فاضحى حاليا (سنة 1996) حانوت واحد بدل سبع حوانيت في دوار أولاد البالي وحده مع بداية الاستقلال (1956) واختفت طاحونة الحبوب ومحل الدراجات، وظاهرة الحصادين.

تدهور التجهيزات الأساسية التي كانت متوفرة في القرية : في هذا الصدد يمكن الاشارة إلى اختفاء الهاتف ووسائل المواصلات العمومية (الحافلة العمومية

وسيارة الأجرة الكبيرة)، وتدهور البنايات التعليمية كالمدرسة التي بنيت في عهد الاستعمار بملحقاتها السكنية للمعلمين ومطبخ التلاميذ (L'école). بل تدهورت حتى بعض الأقسام الملحقة بها والتي بنيت بعد الاستقلال، وأصبحت اطلالا تنذر بخراب تدريجي للقرية.

آثار الهجرة على مكان الوصول :

أين يقطن السكان الوافدون على وجدة وفي أي أنشطة يشتغلون ؟

يتركز النازحون من قرية لبصارة في الأحياء الهامشية بمدخل مدينة وجدة على طريق «الغرب»، كاحياء «المير علي» و «سي لخضر» و «واد الناشف» (موسى كرزازي، 1992 ص. ص. 285 ــ 309) وأحيانا يلاحظ جوار ملفت للنظر بين أسر كانت تقطن نفس الدوار، ذلك ان «الهجرة تنادي على الهجرة».

ومعظم المهاجرين يشتغلون في قطاع البناء كمياومين في مرحلة أولى، وبنائين في مرحلة ثانية. ويشغلهم عادة مقاول من العائلة أو من الدوار. وينقص معظمهم التأهيل المهني والتعليم من مستوى عالي، ولذلك يكتفون بالاشتغال في قطاعات لا تحتاج إلى تكوين أو تأهيل مهني ومنها القطاع الغير المشكل. ويحاول الشباب التمرن على مهن أخرى مرتبطة بالبناء كوضع الفسيفساء، والجبس، والزليج، والتعاطي لمهن أخرى كالحلاقة والتجارة خاصة بيع الخضر. ويظل العمل موسميا في غالب الأحيان.

4. الافاق المستقبلية بدواوير لبصارة

نتساءل هل كانت هذه التحولات تطورا عاديا مس كل أرياف البلاد، أم كان يمكن التخفيف من حدة النزيف البشري في قرية لبصارة لو لم تقع بعض الأحداث التي عجلت بخرابها ؟

تفسر الوضعية المتدهورة لقرية لبصارة وانعدام الصيانة ؛ وكذا تفكير غالبية ساكنتها في الرحيل إلى المدينة أو إلى الخارج عندما لا تتوفر لديهم أراضي بسهل انكَاد. ولذا لا يرون ضرورة في الترميم والاصلاح.

وقد بلغ عدد سكان الجماعة المحلية الفتية 2.311 ن في إحصاء 1994 بعد انفصالها عن الجماعة الأم «عين الصفاء» وادارتها لا تهتم كثيرا بمثل هذه الدواوير

المحتظرة اصلا، وحتى وان ارادت ذلك، يصعب عليها تبرير ميزانية تجهيزها، نظرا لقلة الساكنة وضعف مداخيل وامكانيات القاطنين بها، إذ لا يمكنهم المساهمة في تحمل جزء من أعباء التجهيزات الأساسية. ولذلك يلاحظ انتقال مركز الثقل والاهتمام من القرية في الجبل إلى سهل «انكَاد»، حيث بنيت عدة منشآت اقتصادية وخدماتية كمصلحة للهاتف ومستوصف قروي جديد (سنة 1997)، وبناية للجماعة، كما تمت كهربة عدد من المنازل وادخلت عدة خطوط هاتفية إلى منازل الفلاحين الموسرين، وشيدت تعاونية لجمع الحليب، ومعمل لتفريخ الكتاكيت (الدجاج).

ورغم الامكانيات المحدودة بالجبل، يمكن مع ذلك بذل مجهود للتنمية المحلية لتشغيل السكان وتشجيع من أراد العودة للقرية. ومن بين المشاريع الممكن انجازها حسب بعض اطر «جمعية تلاميذ قدماء لبصارة» : امكانية تربية النحل، وتربية الدواجن وفتح مقالع الحجر وصنع حصى البناء، وبناء معمل للآجور، وتأسيس اندية نسوية للخياطة والطرز والزرد (Tricots)، وتشجيع صناعة الحصير والاطباق. إضافة إلى انعاش الفلاحة عن طريق غرس الأشجار المثمرة كاللوز والتفاح والتين والزيتون. وقد يساعد هذا على تشجيع العودة إلى القرية وجلب سكان جدد لاعادة تعميرها واحياء أرضها.

ودور انعاش القرية موكول لعدة اطراف في مقدمتها الجماعة المحلية والأجهزة المسؤولة، وكذا الجمعيات المحلية المهتمة بالتنمية القروية مثل جمعية «قدماء تلاميذ لبصارة». وهكذا يمكنها تحريك الطاقات الموجودة واستغلال الموارد المتاحة (رساميل المهاجرين بالخارج، واليد العاملة، والأرض). ويبقى مع ذلك مشكل الماء في المنطقة عائقا للتنمية الصناعية أو الفلاحية، ولذا يجب التفكير في مصادر جديدة لجلبه إلى الدواوير المعنية. ولاشك أن التساقطات الغزيرة الأخيرة في مطلع 1996 سينعش النشاط الفلاحي بالمنطقة.

إن الهجرة عامل سلبي بالنسبة للقرية المهجورة ؛ ومع ذلك يمكن التفاؤل بحذر لمستقبل القرية ؛ ففي ضوء التطورات المطبوعة عادة بحدة الجفاف في المناطق الهشة، فقد فتحت الآفاق في القرية، بعدما اصبحت مجال «استقطاب» لمجموعات بشرية كانت تشتغل بالرعي فيما قبل (بني كَيل). وهكذا تم «استقبالها» لمجموعة من الأسر من النجود العليا، قهرها الجفاف فارتحلت من عين بني مطهر وتاندرارة

لتستقر ببعض الدواوير ؛ منها اسرتان بدوار اولاد البالي، وثماني اسر بأولاد بوتشيش.

إلا أن الملاحظ هو عدم عودة المهاجرين إلى دواويرهم الأصلية، باستثناء بعض الحالات المحدودة منها امراة واحدة من الدوار عادت من الخارج رفقة زوجها الأجنبي، واستثمرا أموالهما في الفلاحة باستعمال الضخ من الفرشة، ولكنها رحلت عن الدوار لتستقر بفرنسا بعد وفاة زوجها، وهي حالة استثنائية.

ويمكن تفسير عدم العودة بكون أحوال معظم المهاجرين قد تحسنت في أماكن استقرارهم، مما يحول دون التفكير في العودة إلى دواويرهم تفتقر إلى أبسط التجهيزات. وعلى سبيل المثال، فإن عامل الهجرة كان ايجابيا بالنسبة لمستوى معيشة الوافدين على مدينة وجدة، بحيث تحسنت أحوالهم نسبيا بصفة عامة، إذ شيدوا العديد منهم منازلهم وعلموا بعض ابنائهم أو أهلوهم مهنيا، وحسنوا مستوى معيشتهم من تغذية ولباس وتمريض ونظافة. كما تحسن أيضا مستوى معيشة الفلاحين الذين انتقلوا إلى السهل، إذ اشترى بعضهم الأراضي فأصبحوا مالكين متوسطين بعد أن كان بعضهم رعاة غنم أو خماسة فيما مضى. وبدون شك، فإن تمويل شراء الأرض كان مصدره أساسا من عائدات الابناء في الخارج.

خلاصة عامة

إن الهجرة المغادرة ساهمت في تدهور البيئة بدواوير لبصارة بصفة عامة، ودوار أولاد البالي بصفة خاصة ؛ ومن بين عواقبها، تعرية السطح وانجراف التربة، وعدم استصلاح الأراضي القابلة للفلاحة، ونقص التعمير وخراب السكن والمنشآت الاقتصادية والاجتماعية[2].

(2) مجموعة أفكار من هذه المداخلة تم التطرق إليها في إطار ندوة نظمت بمناسبة الذكرى الالفية لمدينة وجدة تحت شعار «وجدة والمنطقة الشرقية بين أصالة التراث والانفتاح على المستقبل» ؛ «انكاد المغرب الشرقي» أيام 08 ــ 10 مارس 1996).
«معظم المعلومات مستقاة من الميدان، وقد تم انجاز البحث على مراحل. وأهم مرحلة انجزت كانت في شهر مارس 1994، وبهذه المناسبة نشكر كل الذين قدموا لنا معلومات ومعطيات حول لبصارة ودوار أولاد البالي وفي مقدمتهم نائب الكاتب العام لـ «جمعية قدماء تلاميذ لبصارة» والمعلم والشيخ بلبصارة. وكذا الزميل محمد جمال الدين أستاذ بكلية علوم التربية بالرباط الذي تفضل بمراجعة المقال قبل طبعه.

إن العوامل التي عجلت بافراغ الدواوير متعددة ومتداخلة، وهو أمر طبيعي وحتمي ان عاجلا أو آجلا، نظرا للتطورات والتحولات التي عرفها مجتمع البادية المغربية واحتكاكه بالمدينة والخارج، وطموح افراده للعيش في اطار حياة كريمة لا توفرها لهم قرية منتصبة في سفح الجبل، محدودة الموارد الاقتصادية، تدهورت امكانياتها تدريجيا بعد احراق مصنع الدوم والحلفا بعد استقلال البلاد، واختفاء عدة انشطة اقتصادية ومنشآت.

ولاشك أن حرية حركة المواطنين بعد رحيل الاستعمار، وتوسع التعليم والاقبال عليه كمصدر للترقية الاجتماعية، واهتمام الدولة بالمدينة مع اهمال شبه تام للبادية، كلها عوامل متداخلة سهلت النزوح نحو المدينة، وأساسا نحو وجدة والخارج، أو النزول إلى السهل حيث إمكانية السقي بالضخ.

ولكن كان يمكن مع ذلك اتخاذ بعض الاحتياطات والتدابير للحفاظ على البيئة والبنيات التحتية القائمة وذلك بصيانتها وتجديدها وخلق أنشطة متنوعة لانعاش اقتصاد القرية، كما كان عليه الحال في فترة سابقة.

فهل ستتجدد الحياة في القرية أم أن مستقبل ساكنتها حتمي في المراكز الجديدة النامية في انكاد ووجدة والمدن المجاورة لها ؟ هذا ماستكشف عنه الأبحاث المقبلة.

أهـم المراجـع

موسى كرزازي، «الحركة السكانية الافقية وبعض انعكاساتها بوجدة كعاصمة للمغرب الشرقي» مجلة كلية الآداب بوجدة، (عدد خاص باعمال ندوة حاضرة المغرب الشرقي : مدينة وجدة من التأسيس إلى الوقت الحاضر. 11 ــ 13 أبريل 1988). العدد الثالث 1992 ص. ص. 285 ــ 309.

الوزارة المكلفة بالسكان، احصاء 1994 : السكان القانونيون للمغرب، مديرية الاحصاء، 1995، الرباط. ص. 192.

CABANNE. C. (Sous direction). (1984). *Lexique de géographie humaine et économique.* Dalloz, Paris.

Direction de la Statistique. (1995). *Croissance démographique et développement du monde rural.* CERED, Rabat, p. 71.

Direction de la Statistique. (1995). Recensement de 1994, Population légale du Maroc, Rabat.

Direction de la Statistique, 1984, Recensement de 1982, Population légale du Maroc, Rabat.

EL GHARBAOUI A. (1981). *La terre et l'Homme dans la péninsule tingitane, étude sur l'homme et le milieu naturel dans le Rif occidental.* Travaux de l'Institut Scientifique, Série géologie et géographie physique N° 15, Rabat.

LAOUINA, A. (1993). «L'impact humain sur la morphodynamique en milieu montagnard méditerranéen marocain». In Colloque sur : (Montagnes et Hauts-Pays de Utilisation et conservation des ressources), Ed. A. Bencherifa, l'Afrique (2) Université Mohammed V, Publication de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines – Rabat, Série : Colloques et Séminaires N° 29, pp. 201 – 214.

LE COZ. J. (1964). *Le Rharb : Fellahs et colons,* Fac. Lettres, Rabat, Tome 1. P. 262.

Ministère Chargé de la Population. (1996). Recensement Général de la Population et de l'Habitat (RGPH) 1994, Province Oujda-Angad, Direction de la Statistique, Rabat.

Ministère de l'Economie Nationale, Population rurale du Maroc. (1962). Recensement démographique de la population de 1960, Division de la coordination économique et du plan.

Ministère de l'Habitat et de l'Aménagement du Territoire ; Délégation régionale mixte (Oujda) : Schéma Directeur d'Aménagement de la ville d'Oujda, (Rapport, Septembre 1983).

Ministère de l'Intérieur, Province d'Oujda, Monographie de la Province d'Oujda, Décembre, 1991.

Ministère de l'Intérieur. (1996). *Résultat du projet migration interne et aménagement du territoire, document de synthèse,* Direction de l'Aménagement du Territoire. Rabat.

Ministère du Plan. (1984). Population rurale d'après le Recensement Général de la Population et de l'Habitat (RGPH) 1982, Région de l'Oriental. Direction de la Statistique. Rabat.

Premier Ministre, Secrétariat d'Etat au plan et au développement régional. (1973). Population rurale, d'après le RGPH 1971, Région de l'Oriental. Direction de la Statistique, Série «E», Vol II. Rabat.

REFASS. M. (1993). «Traditions migratoires dans le Rif Oriental avant le travail en Europe» In Colloque (Montagnes et Hauts-Pays de l'Afrique (2)) Utilisation et conservation des ressources, Ed. A. Bencherifa, Université Mohammed V, Publication de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines – Rabat, Série : Colloques et Séminaires N° 29. Rabat, pp. 89 – 97.

Service Central des Statistiques. RGPH 1971, Province d'Oujda, Cercle de Béni Snassen, Commune d'Aïn Es-Sfa. (Bureau des Statistiques).

Service Central des Statistiques, Bureau des statistiques et des études démographiques, Liste des Douars du RGPH de 1971, Province d'Oujda, Cercle de Béni Snassen, Commune d'Aïn Sfa, Fraction Labsara (Archives).